

كتاب أنساب الأشراف للبلاذرى

للدكتور إسرائيل ولفنسون

أستاذ اللغات السامية بدار العلوم

الذى أمامهم بالمصادر والمراجع الأخرى ، ويذبلون مطبوعاتهم بمواشى غاية فى الدقة والخطورة فى أغلب الأحوال وقد لاحظنا أن بعض الناشرين عندنا عمدوا إلى إعادة طبع ما طبعه المستشرقون فى أوروبا ، ولكن مع الأسف الشديد جاء عملهم ماسخاً لما عمله المستشرقون مشوهاً له ؛ إذ كانت الطبعة الثانية غير منبوعة ، كثيرة الأغلاط ، فاحشة الأخطاء

على أن بعض الأفراد ممن تتقف فى أوروبا ، ومن اتصل بالحركة العلمية الأوربية قد بدأ ينشر بعض المصنفات العربية على الطريقة المألوفة عند الأفرنج ، وخصوصاً ما ظهر من المهمة والمزينة فى نشر الكتب تحت إشراف دار الكتب المصرية ، فلا شك أن عمل دار الكتب بعد صفحة بيضاء جديدة فى تاريخ نشر الكتب والعرفان فى الشرق . على أننا نريد أن نقول لدار الكتب كلمة صريحة تؤجلها إلى فرصة أخرى إن شاء الله ذكرت ذلك بمناسبة تولى المعهد الشرقى بالجامعة العبرية بالقدس نشر كتاب أنساب الأشراف للبلاذرى الذى ظهر منه فى الآونة الأخيرة الجزء الخامس

ذاع صيت أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى فى العصور الأخيرة بواسطة كتابه الصغير فتوح البلدان الذى أقدم العالم دى غويه على طبعه سنة ١٨٦٦ بمدينة ليدن . أما مصنفه العظيم المذكور فى معجم ياقوت الحموى باسم أنساب الأشراف (معجم الأدباء ج ٢ - ص ١٣١) أو كما سماه ابن النديم بكتاب الأخبار والأنساب (فهرس ص ١١٤) أو كما يقول الشريف المرتضى (الشافى ص ٢٦٠ ، ٦٨٨) كتاب البلاذرى ، أو كما يشير ابن عساكر إلى البلاذرى ويصفه بصاحب التاريخ (تاريخ دمشق ص ١٣١)

وهو الكتاب الذى ارتشف من منهل التقدمون والتأخرون ممن جاءوا بعد البلاذرى من كبار الأدباء والمؤرخين والجغرافيين مثل الشريف المرتضى الذى توفى سنة ٤٣٦ هـ ، وابن عساكر الذى توفى سنة ٥٧١ هـ ، وياقوت الحموى الرومى الذى توفى سنة ٦٢٦ هـ ، والنويرى الذى توفى سنة ٦٣٢ هـ ، وابن خلكان الذى توفى سنة ٦٨١ هـ ، وابن حجر العسقلانى الذى توفى سنة ٨٥٢ هـ ، وابن تفرى بردى الذى توفى سنة ٨٧٤ هـ . أما هذا الكتاب فقد توارى عن العيون فى العصور الأخيرة وصر عليه العلماء من الكرام حتى أصبح

يعلم كل من تتبع حركة النشر والطبع فى الأفطار الشرقية فى العصر الحديث أن كثيراً من المصنفات العربية العظيمة الشأن إنما نشرت بواسطة العلماء المستشرقين ؛ وما لا شك فيه أن هذه العناية المفرطة إنما كانت من الأسباب الباهرة التى ساعدت على نمو النهضة العلمية فى الديار العربية

كلنا نعلم أن كتاب السيرة النبوية لمحمد بن اسحق من رواية عبد الملك بن هشام طبع للمرة الأولى سنة ١٨٥٩ - ١٨٦٠ بواسطة العالم ويستفيلد ، وكذلك تولى العلامة دى غويه بمعونة علماء آخرين طبع كتاب تاريخ الأمم والملوك لأبى جعفر محمد ابن جرير الطبرى فى ليدن من سنة ١٨٧٦ ، وكذلك طبع نسخة من المستشرقين كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد من سنة ١٩٠٥ - ١٩٢١

وكذلك طبع كتاب (كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون) لمصطفى بن عبد الله المشهور باسم حاجى خليفة من سنة ١٨٣٥ - ١٨٥٨ بمدينة ليدن وليبيك ، وكان ذلك تحت إشراف العالم فليجل ، وهو الذى تولى طبع كتاب فهرس ابن النديم من سنة ١٨٧٠ - ١٨٧١

وليس هذا المقام مقام احصاء كل ما طبع العلماء المستشرقون ، وإنما سردت بعض الكتب القيمة العظيمة القدرات التى لا تتصور حركاتها العلمية ونهضتنا الأدبية دون الرجوع الى هذه المصادر الهامة

وهناك أمر آخر له خطره فى أمر نشر المصنفات العربية بواسطة المستشرقين وهو أنهم أساتذة لنا ، معشر الشرقيين ، فى إخراج المطبوعات على الطريقة العلمية المجدية ، إذ هم ليسوا طابعين وناشرين بحسب كما اعتدنا أن نرى من الناشرين للمؤلفات عندنا ، بل هم يميلون الى المراجعة بنناية ، والمقابلة بما ورد فى الكتاب

جمهرة الأنساب والمهيم بن عدى ألف مصنفًا في تاريخ الأشراف وهو ممن توفي في أوائل القرن الثالث فان كتاب انساب الأشراف للبلاذري يمد في الذروة مما وصل إليه الأدب التاريخي عند العرب في الأنساب

والبلاذري لم يكتف بجمع الأخبار من مصنفات من سبقه بل جمع كثيرًا من الأخبار من السجلات الرسمية التي كانت في خزائن الدولة ؛ وهو على ميله إلى العباسيين لا يظلم بني أمية بل يقص عنهم أخبارًا كثيرة تدل على أن له حنكة المؤرخ الذي يتقلب على شعوره ويتجرد عن أهوائه ، وذلك أمر لابد للمؤرخ النصف منه

والكتاب الذي طبع الآن ليس الجزء الأول بل الخامس منه ، إذ وزعت صفحات المخطوط على مجلة من العلماء لم يتمكنوا إلى الآن من إتمام العمل الذي كفوا أن يقوموا به

وكان الجزء الخامس قد وكل أمر العناية به إلى الأستاذ س . د . جوبتاين وهو الآن في العقد الرابع من العمر تخرج من جامعة فرانكفورت بألمانيا وكان من خيرة تلاميذ الأستاذ الرحوم يوسف هورفيتس واختاره للتدريس بالجامعة العبرية بالقدس

وقد بذل الأستاذ جوبتاين جهده مدة سنين كثيرة في مراجعة صفحات المخطوط وأخرجه بعد عناء ومشقة على النسق المألوف عند كبار المؤرخين من المستشرقين مع مقدمة علمية بحث فيها الناصر في أصل تسمية الكتاب وما يحتوي عليه مع مقارنة بين من سبقه وبين من أتى بعده من المؤرخين وبين ما أخذه ممن كان قبله ومن أخذ عنه ممن جاء بعده

ومما يؤسف له أن هذه المقدمة النفيسة قد وضعت بالعبرية من ناحية ، وبالترجمة الانجليزية من ناحية أخرى ، وقد اكتفى الناشر بكلمة موجزة بالعربية . كان من الواجب أن يصدر بالمقدمة العربية قبل كل شيء ، لأن الكتاب عربي موجه إلى الناطقين بالضاد قبل غيرهم ، وإذا كان جمهرة من العلماء الانجليز يدرسون كتاب أنساب الأشراف فهم يستطيعون أن يدرسوا المقدمة بالعربية أيضا

وكذلك أقول عن الذيل الذي وضع بالانجليزية كأن

نسبًا منسبًا إلى أن جاء العالم أهوارت في سنة ١٨٨٣ وأخرج جزءًا منه كان يشك بعض العلماء في صحة نسبه إلى البلاذري . ثم حدث أن أعلن الأستاذ بيكر (C. H. Becker) في مؤتمر المستشرقين الثالث عشر أنه عثر على نسخة كاملة من كتاب أنساب الأشراف في الآستانة ولم يحفظ الدهر لهذا الكتاب نسخة كاملة غيرها ؛ وكان قد عقد النية على نشر الكتاب ولكن كبر حجمه من ناحية ومشاكل الأستاذ بيكر من ناحية أخرى عاقته عن المضي في تحقيق هذا المشروع إلى أن اقترح عليه الأستاذ جوتهلد ويل الذي كان مدبرًا للقسم الشرق من مكتبة برلين الكبرى على العلامة بيكر أن يعرض مشروع طبع أنساب الأشراف على هيئة تدريس اللغة العبرية في الجامعة العبرية بالقدس ففعل

أما المخطوط من هذا الكتاب فيشتمل على ١٢٢٨ صفحة ، وهو أكبر حجمًا من الطبقات الكبرى لابن سعد أو أقل قليلًا من كتاب التاريخ لابن جرير الطبري ؛ وهو بحث مفصل في أنساب العرب يبدأ دراسته بالتاريخ القديم من عهد نوح وذريته إلى سيدنا إبراهيم خليل الله وأعيانه ، ثم ينتقل إلى قريش وبني هاشم ويبحث في أصلهم وفصلهم ، ثم يقص سيرة الرسول وأخباره على بن أبي طالب وما جرى في عهد الخلفاء الراشدين ، ويفصل تفصيلًا كثيرًا مطولًا تاريخ بني أمية حتى تشمل أخبارهم على ثلث الكتاب بأجمعه . ومع أنه كان من الموالين لبني العباس وكان يشغل منصبًا رفيعًا عند خلفائهم فان ما ورد بشأنهم من الحوادث والأخبار لا يتجاوز سبعين صفحة من المخطوط الكبير

وكذلك يوجه عناية شديدة إلى قبائل مضر الآخرين فيعرض لأنساب كنانة وأسد وهذيل وعبد مناة ومزينة وتميم وقيس وذبيان وفزارة وهبس وهوازن وسليم وتقيف ولم يذكر قبائل ربيعة واليمن لأن النية عاجلته عن إتمام كتابه إذ لقي حتفه في أوائل عهد الخليفة المتضد سنة ٢٧٩ (كشف الظنون ج ١ ص ٢٧٤)

ومع أن هناك مصنفات في أنساب العرب قبل البلاذري إذ كان محمد بن هشام الكلبي الذي توفي سنة ٢٠٤ قد وضع كتابه